خَمْسَةُ حُقُوقٍ وَأُصُولٍ عَظِيمَةٍ وَاجِبَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ نِزَارِ بْنِ هَاشِمٍ الْعَبَّاسِ

قَالَ الشَّيْخُ نِزَارُ بْنُ هَاشِمٍ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ إِعْلَامُ الْأُمَّةِ

بِأَنَّ حُكْمَ الْمُظَاهَرَاتِ وَالثَّوْرَاتِ

خَمْسَةُ حُقُوقٍ وَأُصُولٍ عَظِيمَةٍ وَاجِبَةٍ عَلَى

الْمُسْلِمِينَ

• تَمْهِيدٌ لَا بُدَّ مِنْهُ:

عَلَيْنَا أَنْ لَا نَغْفُلَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -وَفَّقَكُمُ اللهُ تَعَالَى- عَنِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَلَا وَهِيَ عِبَادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) [الذَّارِيَاتِ 56]. وَأَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ بِمَا أَمَرَ بِهِ هُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- عَلَى مَنْهَجِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَخْيَارِ، وَلَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ تِلْكَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَتَحْقِيقِهَا وَالتَّقَرُّبِ بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِلْفَوْزِ بِجَنَّاتِهِ وَمَرْضَاتِهِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِتَطْبِيقٍ صَادِقٍ عِلْمِيٍّ مُتَجَرِّدٍ -لِلهِ تَعَالَى- لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) [النِّسَاءِ 59].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ((وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ)) يَعْنِي أَهْلَ الْفِقْهِ وَالدِّينِ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَأَبُو الْعَالِيَةِ ((وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ)) يَعْنِي الْعُلَمَاءَ، وَالظَّاهِرُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَقَالَ تَعَالَى: ((لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ)) وَقَالَ تَعَالَى: ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَا أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي" فَهَذِهِ أَوَامِرُ بِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ((أَطِيعُوا اللَّهَ)) أَيِ اتَّبِعُوا كِتَابَهُ ((وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)) أَيْ خُذُوا بِسُنَّتِهِ ((وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ)) أَيْ فِيمَا أَمَرُوكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ لَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ "إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ" وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنِ ابْنِ حُرَيْثٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ". وَقَوْلُهُ: ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)) قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَيْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ وَفُرُوعِهِ أَنْ يُرَدَّ التَّنَازُعُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)) فَمَا حَكَمَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَشَهِدَا لَهُ بِالصِّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ((إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) أَيْ رُدُّوا الْخُصُومَاتِ وَالْجَهَالَاتِ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمَا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَكُمْ ((إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ(٢). وَقَوْلُهُ: ((ذَٰلِكَ خَيْرٌ)) أَيِ التَّحَاكُمُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِمَا فِي فَصْلِ النِّزَاعِ خَيْرٌ ((وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) أَيْ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَآلًا كَمَا قَالَهُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَأَحْسَنُ جَزَاءً وَهُوَ قَرِيبٌ» انْتَهَى كَلَامُهُ -رَحِمَهُ اللهُ-.

(١) وَقَدْ ضَعَّفَ أَهْلُ الْعِلْمِ رِوَايَتَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- لَكِنَّ الْمَعْنَى بِحَمْدِ اللهِ صَحِيحٌ وَثَابِتٌ عَمَّنْ ذَكَرَهُمُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى- وَهُمْ تَلَامِيذُ وَرُوَاةُ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- سِوَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ-.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ فِي الْآيَةِ قَالَ: "الرَّدُّ إِلَى اللهِ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنْ كَانَ حَيًّا، فَإِنْ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ فَالرَّدُّ إِلَى السُّنَّةِ" [تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ].

فَأُولُوا الْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمُ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَّامُ الْأُمَرَاءُ، فَالْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ الرَّاسِخُونَ السَّائِرُونَ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ هُمْ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى مَرْجِعِيَّةٌ -صَادِقَةٌ مَأْمُونَةٌ- لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ بِأَسْرِهَا -حُكَّامًا كَانُوا أَوْ مَحْكُومِينَ- لِمَعْرِفَةِ حُكْمِ اللهِ وَشَرْعِهِ وَتَطْبِيقِهِ فِي كُلِّ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ وَعُبُورِهِمْ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ دَارِ الْقَرَارِ، فَاتِّفَاقُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَوَحْدَتُهَا بَعْدَ اللهِ تَعَالَى وَثَبَاتُهَا عَلَى أُصُولِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ، وَفَضُّ وَحَلُّ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا مِنْ نِزَاعٍ أَوِ اخْتِلَافٍ وَفُرْقَةٍ لَا يَتِمُّ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ لِذَا أَمَرَ اللهُ

بِطَاعَتِهِمْ وَالنُّزُولِ عِنْدَ قَوْلِهِمْ وَالْأَخْذِ بِهِ وَجَعَلَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ وَعِصْمَتِهِ لَهُمْ مِنِ اتِّبَاعِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَالَ تَعَالَى: ((وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)) [النِّسَاءِ 83]، بَلْ أَمَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) [النَّحْلِ 43]. وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ -كَمَا بَيَّنَ الْمُفَسِّرُونَ الْعُلَمَاءُ-. لِأَجْلِ هَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَمَدَحَهُمْ وَكَذَا نَبِيُّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَيْرِ مَا نَصٍّ، قَالَ تَعَالَى: ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [آلِ عِمْرَانَ 18]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)) [الزُّمَرِ 9]. وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" [صَحِيحُ الْجَامِعِ].

(٢) أَيِ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الرُّجُوعِ. أَوْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ إِذَا اسْتَحَلَّ مُعْتَقِدًا بِقَلْبِهِ أَوْ مُصَرِّحًا بِلَفْظِهِ عَدَمَ وُجُوبِ الرُّجُوعِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِمَا عِنْدَ النِّزَاعِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ فِي بَابِ الْإِيمَانِ وَأَحْكَامِهِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كُتُبِ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ. قَالَ الشَّيْخُ الْوَالِدُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَنَّا -حَفِظَهُ اللهُ-: "مَعَ الْأَخْذِ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ الصَّحِيحَ دُونَ تَقْصِيرٍ مِنْهُ فِي ذَلِكَ".

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ" [حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (صَحِيحِ الْجَامِعِ)].

لَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ قَدْ يَنَالُ مِنْهُ بِقَدَرِ اللهِ بَعْضُ أَهْلِ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ -فِتْنَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ وَابْتِلَاءً- فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ كَمَا يُعْطِي مِنَ الدُّنْيَا وَنِعَمِهَا مَنْ لَا يُحِبُّ فَلَا يَرْتَفِعُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَإِنِ ارْتَفَعَ وَعَلَا شَأْنُهُ عِنْدَ الْخَلْقِ؛ يُعْطِي كَذَلِكَ اللهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْعِلْمِ مَنْ لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَى عَنْ فِعْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِتْنَةً لَهُ وَلِغَيْرِهِ فَلَا يَرْتَفِعُ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَإِنِ ارْتَفَعَ وَعَلَا شَأْنُهُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ. لِأَجْلِ هَذَا حَذَّرَ نَبِيُّنَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الضَّلَالَةِ وَأَئِمَّتِهَا

فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ" [السِّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ]. وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُحَذِّرًا مِنَ الِاغْتِرَارِ وَالِانْخِدَاعِ بِفَصَاحَةِ وَبَلَاغَةِ وَتَأْصِيلِ عُلَمَاءِ السُّوءِ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ" [صَحِيحُ التَّرْغِيبِ]. وَقَالَ أَيْضًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- مُخَوِّفًا مِنْهُمْ: "دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا" [صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ] مَعَ أَنَّهُمْ "مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"، "وَيَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ" [صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ]، "وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ" [صَحِيحُ مُسْلِمٍ] أَيْ يَطْلُبُونَهُ وَتَظْهَرُ عَلَيْهِمْ عَلَامَاتُهُ، وَيُكْثِرُونَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ... إِلَخْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ(٣).

لِذَلِكَ أَوْصَانَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -وَفَّقَكُمُ اللهُ- أَنْ نَرْتَبِطَ وَنَتَّصِلَ بِعُلَمَاءِ الْخَيْرِ الرَّاسِخِينَ لِأَخْذِ الْعِلْمِ الصَّافِي عَنْهُمْ وَالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقِهِمْ وَالْعَمَلِ بِإِرْشَادِهِمْ وَأَنْ نَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَالضَّلَالَةِ وَالْجَهْلِ وَإِنْ تَرَأَّسُوا وَاعْتُمِدُوا عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ وَخَطَرِهِمْ؛ فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ اللهَ

لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا" [صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: "أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ" [صَحِيحُ النَّسَائِيِّ].

---

(٣) قَالَ الشَّيْخُ الْوَالِدُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَنَّا -حَفِظَهُ اللهُ-: "وَمَا ذَكَرَهُ الْأَخُ الْمُصَنِّفُ هُوَ وَاقِعُ بَعْضِ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَالدُّعَاةِ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ وَلَكِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ عِلْمًا مُلَبَّسًا بِالْبِدَعِ وَالْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ فُتِنَ بِهِمُ الْكَثِيرُونَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ حَقًّا مُلَبَّسًا بِالْمُخَالَفَاتِ فَأَخَذُوا مِنْهُمُ الْعِلْمَ لِمَا أُوتُوا مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَتَأْصِيلِ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَالْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ".

وَهَذَا وَاقِعُ الْمُسْلِمِينَ يَشْهَدُ بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنُعَايِشُهُ كَشَرْطٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَمٍ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ فَقَدْ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ" [صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ].

وَالْحَمْدُ لِلهِ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ -مِنَ الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِهِمْ- ظَاهِرِينَ مَعْرُوفِينَ بَاقِينَ مَنْصُورِينَ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ وَإِنْ كَثُرَ الْجَهْلُ وَأَهْلُهُ وَالْفَسَادُ وَمُرَوِّجُوهُ وَتَكَالَبَ أَعْدَاءُ الْحَقِّ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، قَالَ تَعَالَى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا)) [الْفَتْحِ 28]. وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" [صَحِيحُ مُسْلِمٍ]، "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ" [السِّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ].

وَأَهْلُ الْحَقِّ وَأَنْصَارُهُ لَا شَكَّ قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ فِي وَسَطِ هَذَا الزَّخَمِ الْعَرِيضِ مِنَ الْجَهْلِ وَمَظَاهِرِهِ وَالشَّرِّ وَأَعْلَامِهِ -أَصْلَحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ- فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ((وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ))(٤) [الْأَنْعَامِ 116]. وَيَقُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" [صَحِيحُ مُسْلِمٍ]، وَفِي رِوَايَةٍ: قِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ:

"نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ" [السِّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ].

فَاحْرِصْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ لِتَكُونَ وَأَهْلُكَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ خَطِيرٌ وَالرِّحْلَةَ سَرِيعَةٌ وَالْآخِرَةَ مَقَرٌّ.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) [التَّحْرِيمِ 6].

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)) [الْحَجِّ 1-2].

((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) [آلِ عِمْرَنَ 185].

(٤) ((وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)) مَا هُمْ إِلَّا مُتَخَرِّصُونَ، يَظُنُّونَ وَيُوقِعُونَ حَزْرًا لَا يَقِينَ عِلْمٍ. يُقَالُ مِنْهُ: "خَرَصَ يَخْرُصُ خَرْصًا وَخُرُوصًا" أَيْ كَذَبَ، وَ"تَخَرَّصَ بِظَنٍّ"، وَ"تَخَرَّصَ بِكَذِبٍ"، وَ"خَرَصْتُ النَّخْلَ أَخْرُصُهُ"، وَ"خَرِصَتْ إِبِلُكَ" أَصَابَهَا الْبَرْدُ وَالْجُوعُ. اهـ [مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ)].

((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)) [الرُّومِ 55].

فَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ وَغَيْرِهَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -رَعَاكُمُ اللَّهُ-:

أَنَّ مَنْ أَرَادَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ وَالنَّجَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحُسْنَ الْعَاقِبَةِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ بِتَوْفِيقِ اللهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ آيَةَ سُورَةِ (النِّسَاءِ) السَّابِقَةَ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) نُصْبَ عَيْنَيْهِ وَمَحَلَّ حِرْصِهِ وَاهْتِمَامِهِ وَفِقْهِهِ وَسَيْرِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا

أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ بِأُمُورٍ وَحُقُوقٍ خَمْسَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَيْهَا يَقُومُ الْحَقُّ وَشَرْعُ الْإِسْلَامِ بِكُلِّ أُصُولِهِ وَقَوَاعِدِهِ:

• **فَالْأَمْرُ الْأَوَّلُ:** حَقُّ اللهِ تَعَالَى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ)) وَهُوَ تَوْحِيدُهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِأُلُوهِيَّتِهِ (عِبَادَتِهِ) وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ مَحَبَّةً وَخُضُوعًا خَوْفًا وَرَجَاءً بِفِعْلِ أَمْرِهِ وَتَرْكِ نَهْيِهِ وَهَذَا عَيْنُ تَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ وَالْكُفْرُ بِهِ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ- بِكُلِّ أَلْوَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ -عَافَى اللهُ الْأُمَّةَ مِنْهُ- ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا))، ثُمَّ الِابْتِدَاعُ وَالْإِحْدَاثُ فِي دِينِهِ ((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))، ثُمَّ سَائِرُ الْمَعَاصِي وَالْفُسُوقِ!!

• **وَالْأَمْرُ الثَّانِي:** حَقُّ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بِطَاعَةِ أَمْرِهِ وَتَرْكِ نَهْيِهِ وَزَجْرِهِ وَتَصْدِيقِ خَبَرِهِ وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ فِي سُنَّتِهِ الصَّحِيحَةِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- مَحَبَّةً لَهُ وَاتِّبَاعًا رَجَاءَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَخَوْفَ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَتَرْكِ الْإِحْدَاثِ وَالِابْتِدَاعِ فِي سُنَّتِهِ وَهَدْيِهِ وَشَرْعِهِ فَهُوَ الْقَائِلُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا

فَهُوَ رَدٌّ" [صَحِيحُ مُسْلِمٍ]، وَالْقَائِلُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَاعِيًا سَاخِطًا عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَأَحْدَثَ فِي دِينِهِ: "سُحْقًا سُحْقًا"(٥)!!

• **وَالْأَمْرُ الثَّالِثُ:** حَقُّ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الرَّاسِخِينَ السَّائِرِينَ عَلَى الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ ((وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ))، بِالتَّعَرُّفِ عَلَيْهِمْ وَالِارْتِبَاطِ بِهِمْ وَتَوْقِيرِهِمْ بِالثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ الْجَمِيلِ الصَّادِقِ مَعَ احْتِرَامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ تَعَلُّمًا وَسُؤَالًا وَطَاعَتِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ "لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ" [صَحِيحُ الْجَامِعِ] وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ لِلهِ تَعَالَى صِيَانَةً وَحِمَايَةً لِدِينِهِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَنَشْرِ عُلُومِهِمْ فِي الْأَرْضِ. وَأُولُوا الْأَمْرِ هَؤُلَاءِ عَلَى رَأْسِهِمْ وَأَوَّلِهِمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ثُمَّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَهُمْ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ ((وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)).

(٥) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا. لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي" قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: "فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي" [صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ].

• **الْأَمْرُ الرَّابِعُ:** حَقُّ وُلَاةِ الْأَمْرِ وَالْحُكَّامِ أَهْلِ سُلْطَانِ اللهِ فِي الْأَرْضِ ((وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ))، بِتَحْقِيقِ طَاعَتِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَتِهِمْ وَلُزُومِهَا وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَهْمَا ظَلَمُوا أَوْ جَارُوا -مَا لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ كُفْرٌ بَوَاحٌ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ يُقَرِّرُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالرُّسُوخِ (مَعَ تَوَفُّرِ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى تَغْيِيرِهِمْ بِالْأَصْلَحِ لِلْأُمَّةِ بِلَا فَسَادٍ وَشَرٍّ أَعْظَمَ وَفِتْنَةٍ عَامَّةٍ وَإِلَّا فَوَجَبَ دُعَاءُ اللهِ وَالصَّبْرُ وَضَبْطُ النَّفْسِ) لَا أَهْلُ الطَّيْشِ وَالثَّوْرَةِ وَالْجَهْلِ وَالْخُرُوجِ وَالْمُرُوقِ- بَلْ يَجِبُ الصَّبْرُ عَلَيْهِمْ وَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ وَعَدَمُ الطَّعْنِ فِيهِمْ وَغَمْزِهِمْ وَالتَّشْهِيرِ وَالسُّخْرِيَةِ بِهِمْ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "دَعَانَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ

عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ" [الْبُخَارِيُّ]. وَالنُّصْحُ لَهُمْ سِرًّا كَمَا قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ" [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَخْرِيجِ (كِتَابِ السُّنَّةِ)]. فَلَا تَغْتَرَّ وَلَا تَنْخَدِعْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِمَا يَفْعَلُهُ وَيُحْدِثُهُ الْمُحْدِثُونَ فِي الدِّينِ مِمَّنْ لَا فِقْهَ لَهُ وَلَا فَهْمَ رَشِيدٌ وَلَا عَقْلَ سَلِيمٌ مُعْرِضِينَ مُخَالِفِينَ -عَنْ عِلْمٍ أَوْ جَهْلٍ- لِحَقِّ وُلَاةِ الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ الْحُقُوقِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَأَهْلِ الْأَحْزَابِ وَالطَّوَائِفِ الدِّينِيَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الْمُخَالِفَةِ لِلسِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ "فَإِنَّ خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"، وَقَدْ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"، وَ"مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"، وَ"مَنْ صَنَعَ أَمْرًا عَلَى غَيْرِ أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ" [صَحِيحُ التَّرْغِيبِ]؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- صَرَّحَ قَائِلًا مُبَيِّنًا كَمَالَ دِينِهِ بِكُلِّ خَيْرٍ وَشُمُولَهُ وَعِصْمَتَهُ وَكِفَايَةَ أَهْلِهِ الصَّادِقِينَ

بِهِ: "لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ" [صَحِيحُ التَّرْغِيبِ].

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ" [صَحِيحُ التَّرْغِيبِ].

وَالْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ عَلَى مَنْهَجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ" [حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (تَخْرِيجِ مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ)].

وَيَقُولُ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ. وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً". قَالَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" [حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي (صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ)]. وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- هُمْ رَأْسُ وَسَادَاتُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمُفَضَّلَةِ كَمَا قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" [صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ].

وَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ الْعَظِيمُ "كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً"(٦) عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا خَالَفَ سُنَّةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وَخَالَفَ مَنْهَجَ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى- مِنَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ وَالْأَفْكَارِ وَالتَّنْظِيرَاتِ الْفَاسِدَةِ فَهُوَ مِنَ الضَّلَالَاتِ الْمُتَوَعَّدِ أَصْحَابُهَا -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- بِنَارِ جَهَنَّمَ كَمَا قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ" [صَحِيحُ النَّسَائِيِّ]. فَاللهُمَّ اعْصِمْنَا مِنَ الْفِتَنِ وَالضَّلَالِ وَأَجِرْنَا مِنْ نَارِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

• **الْأَمْرُ الْخَامِسُ:** وُجُوبُ الرُّجُوعِ عِنْدَ النِّزَاعِ وَالِاخْتِلَافِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِشَتَّى أَصْنَافِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ وَالْحُقُوقِ السَّابِقَةِ الذِّكْرِ -وَغَيْرِهَا- (طَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، وَطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَطَاعَةِ الْوُلَاةِ وَالْحُكَّامِ) إِلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى الْمُحْكَمِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- الصَّحِيحَةِ الْمُحْكَمَةِ ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)) وَهَذَا الرُّجُوعُ إِلَى

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ أَصْحَابُهُ وَالْمُخْتَلِفُونَ وَالْمُتَنَازِعُونَ وَيَجْنُونَ جَمِيلَ آثَارِهِ وَحُسْنَ عَاقِبَتِهِ إِلَّا إِذَا حَقَّقُوا بِنَصِّ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ النُّصُوصِ الْآتِيَ:

---

(٦) وَلَا يَعْنِي هَذَا الْحَدِيثُ مُطْلَقًا كَمَا بَيَّنَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ مَنْهَجَ الْحَقِّ أَنَّهُ كَافِرٌ وَأَنَّهُ فِي النَّارِ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُخَالَفَةَ قَدْ تَكُونُ عَنْ جَهْلٍ أَوْ شُبْهَةٍ أَوْ أَمْرٍ عَارِضٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَقَدْ عُلِمَ بِالنُّصُوصِ أَنَّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ بِعِصْيَانِهِ ثُمَّ لَا يَخْلُدُ فِيهَا وَيَرْحَمُهُ اللهُ بَعْدَ تَطْهِيرِهِ بِجَنَّةِ الْخُلْدِ. رَاجِعْ فِي هَذَا (السِّلْسِلَةَ الصَّحِيحَةَ 1/ 358).

1- أَنْ يَكُونُوا مُعَظِّمِينَ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى مُؤْمِنِينَ بِهِ مُعْتَمِدِينَ -بَعْدَ اللهِ- عَلَيْهِ أَصْلًا وَمَرْجِعًا وَدِينًا (لَا كَالشِّيعَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- تَحْرِيفَهُ وَنَقْصَهُ، عَامَلَهُمُ اللهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ).

2- أَنْ يَكُونُوا مُعَظِّمِينَ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- مُعْتَمِدِينَ عَلَيْهَا -بَعْدَ اللهِ- أَصْلًا ثَانِيًا مُصَاحِبًا لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَمَرْجِعًا وَدِينًا وَإِيمَانًا (لَا كَالشِّيعَةِ الرَّوَافِضِ أَيْضًا الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بُطْلَانَهَا وَكَذِبَهَا لِأَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ رُوَاتَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ- إِلَّا عَدَدًا يَسِيرًا هَوَى وَضَلَالًا فَكَيْفَ

بِغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ... إِلَخْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؟! وَكَذَا الْخَوَارِجُ الْقُدَامَى وَبَعْضُ مُتَأَخِّرِيهِمْ -الْيَوْمَ- الطَّاعِنِينَ فِي بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَذَلَ اللهُ مَنْ عَادَاهُمْ وَكَبَتَهُ- إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ كَالْعَقْلَانِيِّينَ مِنْ أَفْرَاخِ الْمُعْتَزِلَةِ).

3- أَنْ يَكُونَ رُجُوعُهُمْ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى فَهْمِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ الْيَوْمَ.

4- أَنْ يَكُونُوا مُرِيدِينَ بَاغِينَ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ بِتَحَرٍّ وَتَجَرُّدٍ وَتَقْوَى وَإِخْلَاصٍ لِلهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ طَمَعًا فِي مَرْضَاتِهِ وَجَنَّاتِهِ وَخَوْفًا مِنْ غَضَبِهِ وَعَذَابِهِ.

5- أَنْ يَكُونُوا عَلَى يَقِينٍ تَامٍّ صَادِقٍ بِأَنَّ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ فِي هَذِهِ الْمَرَاجِعِ (الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَعُلَمَاءِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ)؛ فَإِنَّهُمْ حِينَهَا يَجِدُّونَ وَيَجْتَهِدُونَ بَحْثًا وَوُسْعًا لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ النِّزَاعِ وَالْخِلَافِ، قَالَ تَعَالَى: ((الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [الْبَقَرَةِ 1-5]، وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: ((وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)) [النُّورِ 54]، وَقَالَ: ((وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)) [الشُّورَى 53]. فَإِنْ كُنَّا كَذَلِكَ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِثِمَارِ هَذَا الرُّجُوعِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ((ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) فَتَجْتَمِعُ الْكَلِمَةُ عَلَى الْحَقِّ -بَعْدَ ظُهُورِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَالْحَمْدُ لِلهِ- وَيَتَّحِدُ الصَّفُّ عَلَى الْخَيْرِ، قَالَ تَعَالَى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [آلِ عِمْرَانَ 103]. وَمَنْ وُفِّقَ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ لِلِاجْتِمَاعِ عَلَى الْحَقِّ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ فَقَدْ حَقَّقَ طَاعَةَ اللهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاللهُ وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ خَيْرًا فَقَالَ مُبَشِّرًا: ((وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)) [الْأَحْزَابِ 33]، وَقَالَ: ((وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)) [النِّسَاءِ 4].

وَإِنْ خَالَفْنَا تِلْكَ النِّقَاطَ الْمُهِمَّةَ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْوَحْيَيْنِ فَإِنَّ النِّزَاعَ يَبْقَى وَالْفُرْقَةَ تَدُومُ وَالْعَاقِبَةَ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- سَتَسُوءُ، قَالَ تَعَالَى: ((وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) [الرُّومِ 31-32]، وَقَالَ: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الْأَنْفَالِ 46].

فَارْعَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ هَذِهِ الْحُقُوقَ وَالْأُمُورَ وَكُنْ عَلَى بَصِيرَةٍ بِهَا وَطَبِّقْهَا فِي حَيَاتِكَ تُفْلِحْ -بِحَوْلِ اللهِ- بِنَصْرِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ. وَسَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ، وَتَعَوَّذْ كُلَّ التَّعَوُّذِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَالضَّلَالِ، وَفَّقَ اللهُ الْجَمِيعَ لِمَرْضَاتِهِ.